

وضمّد جراحي بالحديث عن جراحه . وظلّ يوسع في الكوة الضيقة الوحيدة حتى رأيتها في عرض الأفق الذي لم أره من قبل . وأصبحت قضبانها المتشابكة جسورا نحو القبر ، وما بين فراشي وفراشه حدائق معلقة .

وكنت أحدثه عن نفسي بما كنت أحلم به عن نفسي . وما كنت كأذبا . إنما تحاشيت أن ادنس جلال هذا المقام بخصوصيات جردني منها السجناء حين جردوني من ملابس الخصوصية . ها أنذا متجرد أمام متجرد . فكيف تخرج يا آدم من الجنة بمحض إرادتك ؟

إلا أن الحراس لم يمهلوني . فقد جاؤوا وأخرجوني من الجنة ونقلوني إلى القاووش . . وهو قاعة طويلة في السجن يرقد فيها السجناء متراضين كل على برثه . وهو سرير حديدي فوقه فراش من القش . فبقيت عدة أيام ارتكب المخالفات لعلهم ينقلونني إلى الزنزانة فالتقيت ذلك الشاب الذي ناداني بيا والذي . ولكنهم لم يفعلوا . وعلمت من السجناء أنه فدائي فلسطيني قادم من لبنان أسره العسكر جريحا . وقالوا إن اسمه هو سعيد . فقلت : عاشت الاسامي . فقالوا : ولكنه لم يتسم بشكسبير . وابتسموا مواسين . فانشغلت بتضميد جراحي وبالبحث عن سعيد الأول حتى التقيت أخته ، يعاد الثانية ، وأنا خارج من السجن مطلق السراح للمرة الثالثة .

[ ٦ ]

### سعيد ينشد أنثودة السعادة

فالذي يدخل إلى السجن ، في بلادنا ، يصبح حاله كحال المكوك في يد الحائك : داخل خارج . وأما حائكي فهو الرجل الكبير . لم يشفع بي ماضي الأبيض بل زاد سواد حاضري سوادا . حتى رأيت باب السجن الحديدي بابا بين ساحتين في سجن واحد ، ساحة داخلية أتمشى فيها ساعة ، فأستريح ، وساحة خارجية أتمشى فيها ساعة ، ثم أروح .

وفيما أنا في مدار هذا الصاروخ الموكي جاءني الرجل الكبير مهددا بأنهم سيظلون ورأي من سجن إلى سجن حتى أهلك حبسا أو طليقا أو أن أعود إلى خدمتهم .

— حلوا غني واركبوا غيري !

— هل تتوهم أننا نجد أمثالك ملقين على قارعة الطريق ؟

— قضيت نصف عمري في خدمتكم . فدعوا البقية أعيشها كبقية خلق الله ، لا أهش ولا أنش .

ولكنه أفهمني أن هذه الخدمة لا فكاك منها حتى بالموت . وقال : أبوك أورثها لك وستورثها لأولادك من بعدك . وسوف يلعنونك إلا أن ذراعنا الطويلة ستنالهم ، جيلا بعد جيل .

وهددني بأن الناس لن يؤمنوا بتوبتي بل سيقولون أن العرق دساس وأن من شب على شيء شاب عليه ، ويأمني لن أجد ملاذا غيره . وهددني بالسجن . وهددني بالتعذيب . وهددني بالموت جوعا .

ولكنني لم أجمع . فقد بسطت ، في زاوية في وادي النسناس ، بسطة كنت أبيع فيها الخضار . . فإذا جاء موسم البطيخ بعته أحمر حلوا المذاق على السكين . فلما سلطوا